الحداثة..

جالسا، كعادته، على كرسي في الجانب الأيمن للمقهى، مدبرًا ظهره إلى داخل المقهى، ومواليا وجهه تلقاء الشارع، وضع نظارته السوداء التي يخفي بها عينيه اللتين يقلبهما، في المارة من النساء، ذات اليمين وذات الشمال، وكوب القهوة البارد يلفُّ أطر افَه الذباب.

يفتح فمه ملء شدقيه كلما مرت أمامه امرأة ذات أنوثة أخّاذة. لا يستفيق من سباته ذاك، إلا عندما يسمع ضجيج حافلات النقل وصرخات الركاب. وقبل أن يستفيق، يكون قد جال جولة ماتعة في أعماق الأنوثة؛ يجرد الأجساد من كل ملابسها، وخرقها الداخلية؛ ويستمتع، في لحظات مسروقة، بأجثاث معطوبة كان ذنبها أنها مرت بمحاذاة المقهى، لأنها كانت مجبرة على الخروج من بيتها، والتسكع في الشوارع كي تعود بما يتقوت به صغارها

كان دائما يحاجج زميله في الجامعة أن جمال المرأة يكمن في اتساع خصرها، لا في بياض أو سمرة..لونها، أو في نبل أخلاقها؛ يحصر الجمال كلَّه في المتعة فقط. أما زميله، فيقول له: إن المرأة الكريمة، الصبورة، المعطاءة وحدها الجميلة. فبقدر سماحتها، وعطفها، بقدر جمالها.

قبل أن يؤدي ثمن القهوة، يضَعُ قبعته السوداء التي لا تفارقه كأنما صممت له، ثم يرتشف ما تبقى من قهوته السوداء متلذذا بآخر جسد تقع عليه عينه.

يقفل في تجاه البيت وقد امتُلئ بالحداثة. لقد تأكد نادل المقهى أن الحداثة أرست دعائمها القوية وفتنها التي تتحكم بها في الشعب. المغاربة شعب يكتفي باللحظة ولا يضرب أي حساب للغد. يكفيه ما يطفئ به كبته اليوم، وللغد رب حكيم.